«إنَّ هذه القلوب تَملُ كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم»

الإمام علي بن أبي طالب

obeikan.com

obeikan.com

مدخل

كتب الإمام الصادق المهدي هذا الكتاب في مناسبات مختلفة كما وضح في المقدمة، وكان الكتاب قد أعد للنشر بصورته الأولى منذ العام ١٩٩٣م، ولكن محاولات نشره لم تفلح من قبل.

الآن وفي العام ٢٠٠٦م قام المؤلف بتنقيح الكتاب وإضافة بعض الفقرات في أجزائه.

كما قمنا نحن في مكتبه الخاص بإضافة التراجم للأعلام والترجيع للمراجع خاصة في القرآن الكريم والحديث الشريف ما أمكننا ذلك، وذلك سيرًا على الخط العام المجاز لدينا بالاتفاق مع المؤلف، وذلك زيادة للفائدة خاصة لدى الأجيال الناشئة.

ونعتذر عن عدم تمكننا من تغطية جميع الأعلام خاصة الأعلام السودانية لقلة المراجع في هذا الخصوص، كما نعتذر عن أي قصور فيما ورد من تعريفات، مؤكدين أن المسئولية عن القصور في التعريف بالأعلام أو توضيح الأحداث المذكورة في الكتاب راجعة لنا في المقام الأول.

كما نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدنا في مراجعة الأخطاء الطباعية في الكتاب خاصة الحبيب يوسف حسن محمد يس والحبيب محمد صالح مجذوب.

سكرتارية المعلومات والدراسات والنشر

المكتب الخاص للإمام الصادق المهدي

أغسطس ٢٠٠٦م

مقدمة

الإنسان محتاج لعناصر مادية معينة؛ لكي يعيش هذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان. إنه محتاج للهواء، والماء، والغذاء بكميات معينة وإلا هلك، إن للغذاء نفسه مكونات ينبغي توافرها الدهنيات، والبروتينيات، والفيتامينات والأملاح. ولكن، ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان. إن القراءة الواعية لحقائق الإنسان الفردية، والاجتماعية، والتاريخية تؤكد أن حياته لا تسعد وتستقر وتزدهر إلا إذا توافرت له عشر حاجات أساسية هي: الحاجة المادية، والروحية، والخلقية، والعاطفية، والمعرفية، والاجتماعية، والفنية، والرياضية، والبيئية، والترويحية.

إن النظرة الجزئية للإنسان نظرة هازلة فإن قلت: إن حاجة الإنسان الوحيدة هي الحاجة المادية وسعيت في توافرها وحققتها فإنك لن تحقق للإنسان استقرارًا ولا سعادة بل ستخلق له تشوقًا وتطلعًا للحاجات الغائبة. كذلك إن قلت: إن حاجة الإنسان الوحيدة هي الحاجة الروحية وسعيت في توافرها وحققتها فإنك لن تحقق للإنسان استقرارًا ولا سعادة بل ستخلق له تطلعا للحاجات الغائبة.

إن النظرة الجادة للإنسان هي التي تتخلى عن النظرات الجزئية وتلتزم الإحاطة، فمن كان جادًا في الحياة فإنه يستبين مطالبها الأساسية ويسعى لتحقيقها على الصعيد الفردي والاجتماعي.

إن الفكاهة تقع ضمن حاجات الإنسان الترويحية، وإن أغفلها الإنسان أو أقام

حياته على الصرامة والعبوس، فإنه حتما يخلق توترًا نفسيًّا واجتماعيًّا رهيبًا.

الجزء الأول من هذا الكتاب هو سياحة في فلسفة الضحك، تعريفه وبحث دواعيه ووظائفه، إضافة إلى الحديث حول الضحك والفكاهة في الإسلام، ومع أن هذا الجزء كتب بعد الأجزاء الثاني والثالث والرابع، فقد أضفته في بداية الكتاب ليكون مدخلا لتلك الأجزاء التي كُتبت في مناسبات مختلفة بيانها كالتالي:

عندما وقع انقلاب ٣٠ يونيو ١٩٨٩م في السودان تجنب أحد الدروس السياسية التاريخية فاستعد كل القوي الفكرية والسياسية والنقابية في السودان ما عدا شريحة واحدة، لقد حرص النظام الجديد منذ بدايته وبصورة مدهشة على توحيد أهل السودان ضده، ونتيجة لهذه الحماقة وجدنا أنفسنا معشر مفكري، وساسة ونقابيّ السودان في سجن كوبر، وأقبل علينا عيد استقلال السودان في أول يناير ١٩٩٠م ورأينا ألا نحتفل باستقلال السودان بطريقة تقليدية فاتفق أن يكون الاحتفال في شكل: أناشيد، وقصائد، وبرامج رياضية، وأن يتاح لبعض أصحاب الذكريات منا أن يحدثوا الآخرين عن طرائف ذكرياتهم وطلب مني منظمو الاحتفال أن أخاطب الحاضرين بنوادر ذكرياتي. فاستجبت وخاطبت زملائي بحديث من فصلين: الأول: بيان لمواقف مضحكة عايشتها والثاني: تسجيل لمواقف مدهشة مرت بي.

الجزء الثاني: من هذا الكتاب: هو عبارة عن سرد منقح لذلك الحديث.

كان ذلك الحديث محاولة ابتسام في ظروف عابسة، وفي يوم ٨ يناير ١٩٩٠م نقلت إلى منزل د. الشيخ محجوب الذي تبرع به سخيًّا مشكورًا لتكون فيه إقامتي الجبرية، وهي إقامة تقلبت بين السماح لأسرتي أن تقيم معي حينا ومنعها أحيانا وكان كل شخص أو شيء داخل إلى مكان إقامتي يفتش تفتيشًا دقيقًا مما جعل المقام أشبه ما يكون بسجن خاص يحيط به الحراس كالسوار بالمعصم، وفي الفترات التي أقام فيها أفراد

أسرتي معي وضعنا برنامجا محددا للاستفادة روحيا وثقافيا ورياضيا من وقتنا وكان يوم الخميس من كل أسبوع يوما خاصا نتخذ فيه برنامجا خفيفا ترفيهيا وكان نصيبي من هذا البرنامج أن أقص بعض النوادر والملح وأن أنشد بعض عيون الشعر العربي.

الجزء الثالث: من هذا الكتاب هو عبارة عن عشر حلقات من النوادر والملح التي رويتها في أيام الخميس المذكورة.

أقدم جزء من الكتاب يرجع إلى عهد الظلام العسكري الثاني، فبعد إعلان قوانين سبتمبر ٨٣ وتسميتها بـ(الإسلامية) هالني ما قد تجره مثل تلك التجارب الفاشلة على الإسلام من تشويه فخاطبت الناس في عيد الأضحى المبارك لعام ١٤٠٣هـ الموافق ١٨ سبتمبر ١٩٨٣م، موضحا فرائض الإسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتي بدونها يبطل ادعاء أي نظام للأسلمة مهما طبق من حدود ورفع من رايات كما أنه تبطل أية عبادة ما لم تراع فرائضها المعلومة، وكانت نتيجة ذلك أن اعتقلت وعدد من زملائي في سجن كوبر في ٢٥ سبتمبر ١٩٨٣م، وبينما نحن في السجن كنا على إحاطة تامة بالجرائم التي ترتكب باسم الدين وفي خضم ذلك التلاعب أشير لثلاث حوادث كان لها في نفسي أثر كبير:

- كنا في السجن كعادتنا نقيم حلقات للعبادة والنقاش الفكري ونحدد أوقاتا للرياضة البدنية، وكنا نحرص على إقامة العلاقات الودية مع غيرنا من السجناء والمعتقلين، وقد تأثر أحد المعتقلين -وكان مسيحيًّا يُدعى جون من جنوب السودان- تأثر بحسن المعاملة وكان يلازمنا حتى أعلن إسلامه، وبينما هو حديث الإسلام جاء بعض السجانين يحمل أيد مقطوعة تسيل دماؤها، ومعلوم أن غالبية من قطعت أيديهم كانوا فقراء يكاد سوء التغذية وضعف الدم أن يفتك بهم!! إن قطع أيدي هؤلاء بموجب نصوص مبتسرة وتطبيقات غوغائية لحد السرقة هالنا، ولكن بالنسبة لجون

فتد طرده هذا المنظر من دينه الجديد، فارتد وأعلن تخليه عن الإسلام!!

• سرق بعض المواطنين أسلاكا كهربائية، وقدموا لمحكمة الطوارئ رقم ٢ برئاسة القاضي فؤاد عبد الرحمن الأمين، وأصدرت المحكمة أحكاما متعددة على المتهمين أهمها الحكم على المتهم الأول صديق رمضان مهدي بالقطع من خلاف والغرامة ٢٠٠٠ جنيه، لقد صدر ذلك الحكم لمجرد أن رئيس النظام ألقى خطابا أشار فيه لحادثة السرقة (والتي كانت لا تزال تحت نظر القضاة) وقال: إن هؤلاء الجناة يستحقون القطع من خلاف، فطابق حكم المحكمة هواه! وجيء بصديق هذا للسجن، وكنت في شك من أن الحكم سيطبق، وهول من أن يحدث ذلك، فإذا به يطبق، ودون مراعاة لشبهة الملكية؛ (لأن المال العام ملكيته عامة)، والتي تدرأ الحد!

• في أثناء إلقاء خطاب رئيس الجمهورية بمناسبة الاحتفال بعيد حركته في مساء يوم ٢٤ مايو ١٩٨٤م وجد جعفر محمد نميري[١] نفسه يقرأ نصوصًا إسلامية تركز على التسامح والعدالة مثل ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[٢] وغيرها من نصوص الكتاب والسنة التي أدخلها كتّاب الخطاب، وكان هذا الاتجاه مخالفًا لتوجهه باللجوء للإسلام لاستخدامه كعصا غليظة لترهيب المعارضين. لذا، وبعد أن عدد حقوق الإنسان في الإسلام وضع رئيس الجمهورية النص المكتوب وقال مرتجلاً:

(١) جعفر محمد نميري (ولد ١٩٣٠) قاد مع مجموعة من صغار الضباط انقلابا في ٢٥ مايو ١٩٦٩م وكان يساري التوجه بادئا. في يوليو ١٩٧١ انقلب عليه حلفاؤه الشيوعيون فتغلب عليهم وبطش بهم وأباد جل قياداتهم. وتحول للمعسكر اليميني، وصار عميلاً للولايات المتحدة الأمريكية بالمنطقة. واجه حكمه انتفاضات شعبية مدنية ومسلحة عديدة ثم توج الرفض الشعبي لحكمه بالنصر في انتفاضة ٦ أبريل ١٩٨٥م المدنية التي تضافرت معها القوات المسلحة السودانية، فاتحة الباب للديمقراطية الثالثة في السودان. ظل في مصر هاربًا من المساءلة وعاد للبلاد مؤخرا في إطار اتفاق مع نظام «الإنقاذ»، وانضم حزبه «تحالف قوى الشعب العاملة» في مارس ٢٠٠٥ إلى حزب المؤتمر الوطني.

(٢) سورة النحل الآية ١٢٥.

(ولكن الإسلام له طوارئ .. وعندما نرى المجتمع قد فسد وانحرف انحرافًا شديدًا ندخل البيوت .. نضبط ونفتش .. نفتش الناس في كل مكان) ثم قال في نفس الخطاب بعد أن ذكر وجود معارضين له: أن هؤلاء لا يستحقون أن يحاكموا بالقانون السمح (قانون الشريعة الإسلامية بضوابطه المعصومة) بل يجب أن يحاكموا بالقانون البطال!

كان من أثر هذه الوقائع مع غيرها من انتهاكات للعدالة، الإسراع ببيان ماهية النظام الإسلامي، فكتبت كتاب «العقوبات الشرعية وموقعها من النظام الاجتماعي الإسلامي» وكتيب «النظام السوداني وتجربته الإسلامية» هذا على الصعيد الفكري والعام، أما على الصعيد الأدبي، فقد انفعلت بتأليف «المقامة الجعفرية الأولى: رسالة الترويع بالتشريع» والتي وزعت على نطاق محدود جدًّا.

الجزء الرابع من الكتاب هو: تلك «المقامة الجعفرية» والتي تنتقد التجربة المايوية الإسلامية في شكل من أشكال الأدب الضاحك!

وقد أضفت للكتاب في شكله النهائي بعض الكاريكاتيرات التي أعجبتني نشرت في الصحف اليومية، أو في مواقع في الإنترنت، أو في كتب.

لقد اقترح عليّ بعض الأصدقاء نشر هذه المدونات مساهمة في الاهتمام بأدب الفكاهة، وتجاوبًا مع تيار نفسي واجتماعي سوداني عام يستخدم أدب الفكاهة للتعبير عن فكره، وشعوره نحو العذاب الذي فرضه عليه نظام «الإنقاذ» وللتعبير عن تطلعه للإنقاذ من «الإنقاذ» لقد أحال الإنقاذ السودان الواعد إلى جحيم لا يطاق! وأسرعت النكات تعبر عن مشاعر أهل السودان، فراجت مائة نكتة أو يزيد تقرن بين السودان وجهنم! وكل عزمات الناس أولها كلام!

الصادق المهدي

البقعة في أغسطس ٢٠٠٦م